

لُعْبَةُ الْعَرَبِ

مَجْلَدٌ شَهْرِيٌّ أَدَبِيٌّ عِلْمِيٌّ تَارِيخِيٌّ

الجزء ٩ من السنة ٣ عن ربيع الثاني ١٣٣٢ = آذار ١٩١٤

خرافات عوام البغداديين

Pratiques superstitieuses des Musulmans de Bagdad.

ان للمراقبين المسلمين عادات ليست من دينهم في شيء منها اهم الهوى والشياطين من الانس، الذين يؤثرون مصالحهم، ولو كان وراء ما سنوه مخالفة لدينهم ومشاقة لله وانبياه وقد كثرت البدع والخرافات واستفحل خطبها في المسلمين عموماً والمراقبين خصوصاً وانتشرت بينهم انتشاراً شديداً والبدع تكثر بعد وفاة صاحب الرسالة في القرون التي بعده حتى ان نبي امية احدثوا اموراً ايس لها اصل في الاسلام والسنة ولكن لا يخلو قرن الا ويظهر فيه من محارب البدع ويقتصر للحدود الشرعية وكان الصحابة ينكرون على من يجيء بشيء لم يفعله صاحب الرسالة او لم يأمر به ويتجرونه ويحقرونه وبلغ من تعصبهم في ذلك ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حج مرة وجاء لاستلام الحجر الاسود فقبله وقال ما أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لم ار رسول الله قبلك لما قبلتك وقال صاحب الرسالة يحذرا صحابه من البدع فكان يقول لهم: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم في انبيائهم) وكان يقول: (من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد عليهم) وكان يقول: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) مخافة من ظهور ما ليس من الدين ولقد اصبحت المراقبون على خطر مهول من ذلك فقد نسوا الضر والنفع الاحجار والجلاميد واستجدوا بقبور علماء الدين وسألوهم اموراً لم تكن من الانبياء فضلاً عن العلماء (حالة حياتهم) ودعواهم وتضرعوا عند قبورهم وسألوهم دفع مضرمهم وايفاء ديونهم واسدآء الرزق اليهم .

ولما يرى غير المسلم ما عليه هؤلاء السخفاء بحسب انه من الدين فينسب اليه السخافة والنقص فتشتم نفسه من الدين الاسلامي وكانى بالافرنجى الذى يطوف ببلاذنا يرى ذلك الرأى فيغضب على الدين ويحرق عليه ويرميه بكل سوء على انه لو اعد النظر ورجع الى عقلاء المسلمين وعلماهم لوجدهم على بعد عن ذلك اذ يتميزون غيظاً على فاعليه. فحاشا للدين الاسلامي ان يرضى بما يفعل الجاهلون المفسدون اهل الخرقه والنس والهرجة في الافعال والاقوال وحاشا ان يبيع اهم من ذلك شيئاً. وهانحن نبحث الان عن بعض العادات التى يتسك بها العراقيون وهى اشبه بما كان يفعله عبدة الاستنام في ايام الجاهلية فنقول:

اصبح العراقيون يعتقدون ان النفع ان الخضر يجوز ان ينسب الى الجمادات كالشجر والصخر والتراب وغيره فيقولون ان جلاميد الجنيد تبرى من المرض الطارى على بعض الاعضاء ويقولون ان بئر الجنيد هى السبب الوحيد لانتاج العاقر الى غير ذلك من الخرافات والسفسطات التى اخذوها عن بعض فرق المسلمين. وهاك بيان ما يكثر من الترداد اليها من الجمادات المعروفة بينهم الموصوفة بالقدرة والتأثير عندهم.

١- جلاميد الجنيد

فى مسجد الجنيد الذى يبعد عن نفس بغداد نصف او ثلث ساعة ثلاثة جلاميد موضوعة حبال قبر الجنيد الصوفى الزاهد المشهور وللعامة فى تلك الجلاميد اعتقادات باطلة وكذا النساء المسلمات وبعض اليهوديات فان هن اعتناء عجيباً بتلك الصخور وذلك ان عاداتهن زيارة الجنيد كل يوم اربعاء فن كانت منهن تشكو مرضاً فى عضو من اعضاء الجسم الصخور على محل الوجع اما مجتمعة واما صخرة فصخرة على التوالى ويرى عن ان الوجع يزول ببركة هذه الصخور.

وان كان الوجع بحيث لا يتمكن من وضع الصخور عليه تسمح عليها بكفها وتمسح بها على المحل المؤلم كالوكان رمد فى عينها او صداع فى راسها.

وان كان الوجع داخليا حملتها على كتفها ودارت بها حول قبر الجنيد واذا لم تستطع حملها حملتها مع امرأة اخرى فتضعها مباشرة على محل الوجع وان كان فى رضيعها داء حملتها هى نيا بهن الرضيع.

ولا فضل لهذه الصخور الا لكونها فى محل مدفون فيه الجنيد.

٢٧ بئر الجنيد

ورآ مسجد الجنيد من جهة الشرق بئر تزعم النساء ان الجنيد كان يتوضأ ويفتسل منها فمن كانت منهن عقيماً تتمد الى تلك البئر فتدلى فيها ثلاث دلاء وتسفعها على جسدها فذلك يكون نتاجها (على زعمهن) وكذا من كانت منهن مشاتاً (اي تعودت ولادة الانثى) فلها قول اذا سبغت بها : آله ذكرآ.

ولا يصح ذلك الا يوم الاربعاء ويشتري من الماء من تلك البئر بقيمة فاحشة ولهن

باعتناء عجيب .

٢٨ بيوت بهلول

ابهلول المجنون الشهير قبر على مقربة من الجنيد وبمناسبة زيارته للجنيد يزرن قبر بهلول وله مسجد صغير انشأ حديثاً وبه من تبنى خلف مسجد بيتا صغيرا من آجر والبيوت هناك تختلف فبعضها يعلو الى ذراع وبعضها الى نصف ذراع وبعضها يجعل من ثلاث قطع من الآجر تبنى ذلك من اياها حجة تسرها في نفسها وتنادى بهلولا بهذه الكلمات (يا بهلول لا تخرب بيتي الا تكفى لى حاجتي) معناها: تقضى حاجتي، لان من طادتهم ابدال القاف بالكاف الفارسية.

ويذرن له نذوراً مختلفة فمن من تذره شعراً توقده فوق قبره او في مكان من مسجد ومنهم من تذره طعاماً تطعم به صواحبها في مسجد بهلول الى غير ذلك من النذور.

ومن كانت طافرا تبنى لها بيتاً هناك وبض البنات تبنى به بيتاً رجاء ان يكون لها خطيب جميل .

فاذا قضى امر احدها من هدمت بيتها ووقت بتذورها ولزمتهم ابدال الم تقض حاجتها والكنه يبقى على حاله .

ومنهن من تعلق في البيت مهداً صغيراً تنفال انها ستزوج ويولد لها ولد وتضمه في المهد ومنهن من تضرب على وسطه كله تنفال انها تزوج وتضرب لها كله .

والبيوت تقام بلاطين ولا حص والكنها حجار يوضع بعضها فوق بعض فبها ما هو مستطيل ومنها ما هو مستدير ومنها ما هو مربع وبعضها نصف مستدير تبنى على حائط من المسجد او على قرب منه .

والتي تصيب مرادها تطل باب المزار بالحناء بعد ان تبنى بما تذرته .

٥ طلاء ابواب المزارات بالحناء

من العادات المستفيضات عندنا هنا انهم اذا زروا احد الائمة المدقونين في العراق وطابن منه حاجة فقضاها (على زعمهم) يقضين نذورهن ثم يعمدن الى باب من طابن منه فيطلبونها بالحناء اشارة الى افعاله تأثير عظيم وله يد في كل ما يطلب منه وانه قضى لهم مرادهن ولذلك ترى اكثر ابواب المزارات والائمة مطلية بالحناء واعلموا صورة كف مفتوحة الاصابع اشارة الى اعطائه وسخائه وبمضهن تعمل غير ذلك

٥ نصيب الراية

الراية عندهن قطعة من خام تخاط في رأس قصبة طويلة اوقصية وتقسم عندهن قسمين سوداء وبياض فالسوداء ينصبها اذا طلبت احداهن من احد الائمة امراً فلم تقع على مرادها والبيضاء بمكسها فتقضى لها مطلباً تنصب الراية البيضاء اشارة الى انه قضى مرادها لدى طلبته والراية تنصب باعلى شرفات البيت واذا قضى لاحداهن مطلب عممت راية بيضاء ويعدت على سطحها تنادى باعلى صوتها والراية في يدها (حرب واهلية خنار والفتية راية البيضاء لفلان الامام مبنية بيض الله وجهه) وتكرر هذه الجملة سبع مرات او خمس مرات بحسب التصادف ونهايل بعد كل صوت ثم تركها على شرفة في بيتها ولا تأخذها حتى تقذفها الريح او يهوى بها المطر او تقع لسبب اخر.

٦ القفل والمفتاح

في مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني العالم الزاهد الشهير رجل يدعى تهشريف هاشمي وللنساء به اعتقاد غريب وذلك ان البنات اذا فات وقت نكاحهن او تربت ولم يحطبن احد ذمهن الى ذلك السيد وشكين له حالهن فيقول لهن ايتني قفل ومفتاح فاذا اتين بهما اقدمهن في باب الشيخ عبد القادر وامرهن ان يرسلن طرف اثوابهن فاذا ارسلنه وضع عليه القفل واغلقه ثلاث مرات ثم يأمرهن بالقيام فيقفن ويخطون على القفل ثلاث خطى ثم يقرأ عليهن ماشاء ان يقرأ ثم انهن يعطينه شيئاً من الزبيب والحصى وهو حلوانه ولا يكون ذلك الا يوم الجمعة قبل الظهر ويزعمون ان نكاحهن يقع بعد ذلك وقوعاً محققاً ويقرب زمانه ببركة ذلك السيد فاذا وقع ما اردن رجعن اليه وفتح القفل واعطينه جزاءه واكثر ما يستعمل ذلك عند نساء اليهود وبعض رجالهم وقد يستعمله بعض سخفاء المسلمين.

٧ قصبة الصداع

إذا شكا أحدهم الصداع عمد إلى قصبة غليظة وقسمها طولاً إلى قسمين ثم شدها بخيط من شعر ووضعها بين المقابر ويقال إن في بطن القصبة اسطراً لم اطلع على مضمونها ويزعمون أنها كفي الصداع.

٨ ايقاد السف

إذا حم أحدهم أو صدع أخذوا قطعة من سف النخل وأوقدوها وإذا انتفدت تملأ امرأة ثدياً وتسير بها قليلاً حتى تحمد نار السفه فتنتهي من سيرها ويزعمون أن الحى والصداع يسكنان بذلك.

٩ شد الحرق

بما تعود له النساء أنهن إذا كان لأحدهن امرئ معها عقدت خرقه وخيطاً يشبك أحد الأئمة فإذا بلغت أربها حملته ووفت نذرها وعقد الحرق قديم في عهد الجاهلية ومن أشهر ما كان يعقد به الحرق ذات النواطير أجمعها في محلها.

١٠ تمثال الابل

بين الكاظمية وبغداد بيتان فيه تمثال ابل منحوت من الرخام ابيض الشكل له قرنان ذوا شغب واغصان ولكنهما كسرا في عاقب النساء عليه يبلغ علوه ذراعاً وثلاث ذراع وله ذنب ملتصق بفخذه وهو قائم على اربع واقف وقوف الابل الذي اوجس نبأه ففزع منها وهو صنع عجيب يشابه في شكله بعض الآثار التي وجدت في بابل ولا يزال باقياً هناك والمرأة العاقرا إذا اعييا امرها تعمد إليه وتركب على ظهره وتبقى عليه بضع دقائق ثم تنزل عنه وتذهب إلى شأنها وتزعم أنه سبب لحبها والمرأة التي لا يحبها زوجها حباً شديداً تركب عليه فتكون من احب الاحباب اليه (على زعمهن).

١١ العقد

تنقسم إلى اقسام فمنها عقدة الخطيب، ومنها خيط ينزع من طراز يوضع على قبور بعض الأئمة فيعقد في الرقاب وفي الاربع ويخيط به بعضهم بشوبه وبعضهم (بمقاله) وله شأن عظيم عند الاصحاب والنساء يتبركن به ويزعمون أنه يذهب الحى والصداع وبقيّة الامراض.

قرأ أحدهم سورة الفلق حتى اذا بلغ إلى قوله: ومن شر النفاثات في العقد قال له يدوى لا يحسن القراءة وسمت انما هي النفاثين. قال: هكذا الآية. قال: انى رأيت الخطباء ينقثون في العقد وليس بينهم امرأة نفثة.

مسلم بغدادى